مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد:21 العدد: 48 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2019 ص: 59 - 80

تناول المصطلح النحوي في المعاجم المتخصصة بين اختلاف التعريف واتفاق المفهوم

أ.لزرق بلعباس[1]

تاريخ الإرسال :2019- 01- 06 تاريخ القبول:2019- 09- 29

الملخص: للمعاجم المتخصصة دور لا يمكن تجاهله في حفظ المصطلحات فمنذ نشأتها اهتمت هذه المعاجم بجمع مصطلحات علوم شتى وتعريفها ووضع حدود لها، وكان من بين هذه العلوم؛ علوم اللغة وبالأخص النحو، فلقد زخرت المعاجم المتخصصة بمصطلحاته، وإن اختلف أصحاب هذه المعاجم في تعريف المصطلح النحوي وحدِّه، غير أن المفهوم يبقى واحدا.

الكلمات المفاتيح: المصطلح، النحو، المعجم المتخصص، التعريف، المفهوم.

Summary : The specialized dictionaries have a role that can not be ignored in saving… terms, since its inception these dictionaries have been interested in collecting and defining the variaus terms of science, among these science was language science and especially grammar, the specialized dictionaries are full of its terms, while lexicographers differ in its definition of grammatical terms, the concept remains one.

Keywords :Term, grammar, specialized dictionary, definition, concept.

مقدمة: ما من شك أن للمصطلح دورا عظيما في الكشف عن مكنونات العلم فبمعرفة الحدود الدقيقة لهذا المصطلح، تدرك قواعد ذلك العلم، وبتنوع

[1] جامعة أمحمد بوقرة – بومرداس- الجزائر ، abbaslazrague@gmail.com, ALGÉRIE

المصطلحات تتمايز العلوم بعضها عن بعض، إذ لكل علم مصطلحاته التي تحكمه، وقد أحسن الجاحظ (ت225ه) عندما قال:<< لكل صناعة ألفاظ >> وليس النحو إستثناءً في هذه العلوم أو الصناعات ، فهو – ولاريب – يمتلك مصطلحاته الخاصة به والتي نمت بنموه وتطورت بتطوره، وإن كان للنحو حظ وافر من الكتب والأسفار التي تناولته علما قائما بحد ذاته، فليس عجيبا أن هذه الكتب تناولت أيضا المصطلح النحوي غير أن الكتب بعمومها وشمولها قد تزهد في تناول المصطلح نظرا لاهتمامها بجوانب أخرى في النحو كالتأريخ له ولعلمائه، والاهتمام بالاختلاف بينهم في الأصول والفروع، وهذا يعطي المعاجم هامشا مقبولا في معالجة المصطلح ويُخلصها له أكثر، فتصبح أميل له، وهو فيها أظهر مما هو في غيرها من المؤلفات.

وانطلاقا من اهتمام المعاجم العامة بالرصيد اللغوي بشكل عام، فإن اهتمام المعاجم الخاصة منها بالمصطلح النحوي لا يغدو ترفا ولا نافلة قول، بل هو صميم اهتمام تلك المعاجم، يعكس الجهد المبذول في حفظ المصطلح، ومن ثمة حفظ العلم ككل، لأن المصطلحات هي مفاتيح العلوم التي على الدارس أن يمتلكها كي يلج إلى كنه ذلك العلم، وما المعاجم المتخصصة إلا أوعية للمصطلحات العلمية ومن بينها المصطلح النحوي بالنسبة لدارس النحو.

ومما سبق تصبح الأسئلة الآتية أكثر من مشروعة:

– بما أن المصطلح هو عقب أخيل في النحو، فما أهم المعاجم المتخصصة التي تناولته؟ وكيف تناولته؟ وكيف ربطت بين المصطلح ومفهومه؟ وما أهم الاختلافات بين المعاجم المختصصة في معالجة المصطلح النحوي؟

أولا: المصطلح النحوي: النشأة والتطور:

أ) **النشأة:** توشك الروايات المشتغلة بتاريخ النحو أن تتفق أن أبا الأسود الدؤلي (ت69ه) هو واضع علم النحو لذلك يقول سعيد الأفغاني:<< أول من

أرسل في النحو كلاما أبو الأسود الدؤلي..>>[1]، والأكيد أن من أبجديات وضع علم ما وضع مصطلحاته، فليس مثيرا للدهشة أن نجد أن أبا الأسود الدؤلي وضع شيئا من المصطلح النحوي لشرح هذا العلم الجديد إذ ذاك وإرساء دعائمه وما المصطلح النحوي إلا " استعمال ألفاظ فنية معنية في التعبير عن الأفكار والمعاني النحوية "[2]، لذلك وجب على أبي الأسود استعمال المصطلحات لإيصال المعاني النحوية، ولعل من هذه المصطلحات التي أوجدها:

- نقط أبي الأسود (علامات الإعراب): وضع أبو الأسود علامات الإعراب في شكل نقاط على الحروف لذلك تراه يقول:<< إذا رأيتني فتحت فهي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فان أتبعت شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين فهذا نقط أبي الأسود >>[3].
- مصطلحات الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر: وهذه المصطلحات توعز لأبي الأسود الدؤلي فقد قال ابن سلام الجمحي (ت232ه): << كان سُراة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر.....>>[4] وهو يتحدث هنا عن أبي الأسود الدؤلي.

وليس أمرا أكيدا نسبة هذه المصطلحات إلى الدؤلي فبعض المتأخرين شكك في ذلك، إذ يقول القوزي:<< والذي يبدو أن تسمية هذا الباب كانت متأخرة عن زمان أبي الأسود، وإنما نسبت إليه...>>[5].

ب) تطور المصطلح بالتشظي بين المدارس: تطور النحو، وظهرت إلى الوجود مدارس نحوية مختلفة (البصرية والكوفية)، وهذا التطور للنحو سيحمل تطورا للمصطلح النحوي، وسينقسم المصطلح بين المدارس كما انقسم النحو، بل إن المصطلح قد يصبح أكبر صانع للخلاف بين المدارس، إذ لكل مدرسة منهجها

وطريقتها، وهذا سينسحب على المصطلح، فيصير لكل مدرسة منظومتها المصطلحية، أضف إلى ذلك أن لكل مدرسة بيئتها المختلفة، وعليه سيتولد عن هذه البيئة الحاضنة مصطلحات مناسبة لخصوصيتها، ومع الذهنية المُميزة لعلماء كل مدرسة تزداد خصوصية المصطلح في كل مدرسة.

والمتتبع لمسار المصطلح النحوي في هذه المدارس يمكن أن يلاحظ ما يلي:

- المصطلح النحوي البصري أسبق من نظيره الكوفي بقرابة قرن من الزمن فالنحو وليد البصرة،"فقد روى لنا التاريخ أن البصريين هم الذين وضعوه وتعهدوه بالرعاية قرابة قرن كانت فيه الكوفة منصرفة عنه "[6].

- المصطلح البصري أساس المصطلح الكوفي، فقد" أخذ الكوفيون عن البصريين وتأثروا بهم "[7]،ولعل مما أخذوا عنهم المصطلح، كما أن بعض أئمة الكوفة جلس إلى الخليل وهو إمام أهل البصرة فتذكر الروايات أن الكسائي قدم البصرة، وشهد حلق الخليل وأطلع على أراء البصريين "[8] ، وبالتالي فإننا نجد الكثير من المصطلحات الكوفية أصلها بصري، وخاصة في بداية نشأة النحو الكوفي، فقد كان المصطلح النحوي الكوفي بصريا لكن في حلة كوفية، والكثير من هذه المصطلحات ترجع إلى الخليل نفسه لأنه أستاذ الكوفيين والبصريين على السواء.

- ارتسمت معالم المصطلح النحوي الكوفي، واكتملت هويته وتمّ استقلاله عن المصطلح النحوي البصري مع يحي بن زياد الفرّاء، فلقد ألّف الفرّاء كتاب – معاني القرآن- ، وفي هذا الكتاب يمايز الفرّاء المصطلح النحوي الكوفي عن البصري، ويعنُّ المصطلح الكوفي في أبهى تجلياته وربما تضيق خصوصية المصطلح عند الفرّاء فيعبر عنه وحده ويخالف فيه بقية الكوفيين، فلقد استخدم الفرّاء مثلا مصطلح (التبرئة) وهو " مصطلح كوفي على ما استقر عند

البصريين بـ (لا النافية للجنس) ولا أظنه إلا من صنعة الفرّاء...."[9]، فقد مثّلت مرحلته حقبة مهمة في صناعة المصطلح الكوفي المخالف للمصطلح البصري فتابع " رسمه للمصطلحات الخاصة به وبمدرسته في الفروع والأصول "[10] فأوجد الفرّاء منظومة مصطلحات خاصة به وبالكوفيين مخالفة لما هو موجود عند البصريين.

- قد يكون الخلاف النحوي هو الباعث على تقسيم المصطلح النحوي إلى بصري وكوفي من أجل الانتصار لهذا أو لذاك، غير أنه ليس بدعا من القول أن نزعم أن المصطلح النحوي في عمومه بصري، " فالتعصب هو الذي حدا بالدارسين للتفريق بين المصطلحات وجعل بعضها بصرية وأخرى كوفية ومصطلحات الكوفيين ماهي إلا أسماء أو مصطلحات بصرية "[11]، وإذا سلمنا بذلك فيمكننا القول بكل اطمئنان إن المصطلح النحوي عموما هو مصطلح بصري، وبالتالي فمن اليسير أن ننزع عنه تسمية البصري والكوفي، فكلمة مصطلح نحوي تكفي للتعبير عن نشأة هذا المصطلح أو تطوره أو وجوده في مدارس مختلفة بصرف النظر عن كونه بصريا أو كوفيا أو غيرهما، لأنه في الأصل واحد، وبالتالي نجد أنفسنا أزحنا عن كاهلنا ثقل الخلاف والصراع بين المدارس، وتحررنا من الولاء أو الانتماء، ومن ثمة يسهل تقصي أثر المصطلح في الأسفار أو المعاجم.

- الوجوه التي تجزم بها الأفعال.

وأما عن منهج الخوارزمي في تناوله للمصطلح، فيمكن القول إن معجم – مفاتيح العلوم – قسّمه صاحبه إلى قسمين، تناول في الأول العلوم الشرعية وقد صدرها لأهميتها، وعلوم العربية ومنها النحو وما يتعلق به من مصطلح، وتناول في الثاني العلوم الأعجمية، ثم ذهب الخوارزمي في التفصيل أكثر، فقسّم كل قسم من القسمين السابقين إلى أبواب، وقسّم كل باب إلى فصول، ذاكرا في

مقدمته أنه رغب في الاختصار ومال إلى الوضوح، ومن أجل ذلك عزف عن جانب من المصطلحات المشهورة لشهرتها، فلم تكن هناك حاجة لشرحها والحديث عنها، فالمُعرّف لا يُعرّف، كما ضرب صفحا عن المصطلحات الغريبة والدخيلة.

و الخوارزمي في ذلك لم يقدم مصطلحاته وفق ترتيب معجمي واضح وهذا لا يقدح في اهتمامه بها، فلقد جمع المصطلحات منذ نشأتها وتحدث عن تطورها فتحدث عن المصطلح النحوي قبل كتاب سيبويه مارّا بتطور المصطلح في الكتاب، ثم بعد الكتاب معتمدا على التمثيل للمصطلحات، ومرجعا إياها إلى أصحابها أو مدارسها.

وإجمالا فإن الخوارزمي من خلال دراسته للمصطلح عموما، والنحوي منه خصوصا في معجمه – مفاتيح العلوم – " حقّق ما قصد إليه، فظلّ كتابه مرجعا للمتخصصين وعونا لطلاب البحث والدراسة "[15].

1- معجم التعريفات للجرجاني (ت816ه): كتاب التعريفات كما يُعرّف معجم لصاحبه علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسين الجرجاني الحنفي المعروف بالسيد الشريف المتوفي سنة 816ه "[16].

وقد حفل هذا المعجم بتعريفات مصطلحات علوم مختلفة، وما وُسِم بالتعريفات إلا لأن صاحبه ذكر فيه مصطلحات العلوم ثم طفق يعرفها كل مصطلح في ميدانه، والمُطّلع على هذا المعجم يظفر " بتعريفات جملة مختارة تجاوزت ألف وخمسمائة (1500) مادة من مصطلحات الفنون المتعددة كالفلسفة والمنطق واللغة والبلاغة والتصوف والفقه وأصوله..."[17]، وأما عن المصطلح اللغوي ففي – التعريفات – "مائتان في مجال النحو والصرف والعروض والقافية "[18]، ولاشك أن حظ المصطلح النحوي منها غير قليل خاصة وأن الشريف الجرجاني عاش في زمن قريب من عصر حوى وسطا لغويا

فاعلا ومتفاعلا كان المصطلح النحوي فيه آخذا بزمام المبادرة ، ويبدو أن للمصطلح النحوي مكانة في معجم – التعريفات – لا يمكن تجاهلها لمن رام تتبع مسار المصطلح النحوي وتطوره.

وهذه الأهمية الكبرى للمصطلح النحوي عند الجرجاني، تغري بالحديث عن المنهج المتبع عنده في تناول هذا المصطلح، فيبدو أن منهجه قد تميز بما يأتي:

– الإعتماد على " التلخيص والتركيز، ولم يعرض للخلافات المذهبية إلا في أضيق نطاق، وتتّسم تعريفاته بالوضوح وسهولة الحفظ ويسر الإستشهاد "[19].

– ترتيب " المصطلحات التي جمعها ترتيبا أبجديا وفق الحرف الأول من الكلمة بعد إسقاط أداة التعريف دون النظر إلى أصولها "[20].

– الاختصار الشديد لبعض تعريفات المصطلح، والذي قد يكون مخلا بالمعنى أحيانا، وذلك مثل تعريفه لمصطلح(الصرف) حيث قال عنه:<< الصرف علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال >>[21] فقد حصر الجرجاني هنا مصطلح (الصرف) في معرفة الإعلال في بنية الكلمات فحسب في حين أن مصطلح (الصرف) قد يُعبّر عن علم الصرف الذي هو رديف علم النحو ويُعبر أيضا عن التنوين، وهو أيضا عند الفرّاء والكوفيين نصب الفعل المضارع بعد فاء السببية بأن المضمرة.

– غلبة الاضطراب المنهجي في أسلوب الإمام الجرجاني عند عرض تعريفاته ولو أن ظاهر أسلوب الإمام يبدو وكأنه يبدأ تعريفات مادته بالمفرد أولا ثم المفرد المضاف (المركب)، فالجمع بأنواعه "[22] فهو يبدأ بالمصطلح المفرد أي الواقع في كلمة واحدة مثل : الاسم ، ثم المصطلح المركب تركيب الإضافة مثل: اسم الفاعل ثم الجمع بأنواعه.

وعلى العموم، فإن معجم التعريفات للسيد الشريف الجرجاني وما جمعه من تعريفات لمصطلحات علوم شتى، يشكل علامة فارقة لا يمكن تجاوزها في تاريخ المعاجم التي رصدت نمو المصطلحات وتطورها.

2- **معجم شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي (ت972ه):** يمتاز هذا المعجم عن غيره من المعاجم السابقة أنه اهتم وانشغل فقط بالمصطلح النحوي دون غيره من مصطلحات العلوم الأخرى، كما أنه يتناول المصطلح النحوي لا وفق ترتيب معجمي معين، إنما وفق أبواب النحو، وما يتداعى منها من مصطلحات بحسب علاقات معينة تربطها، وكل هذا يجعل – شرح كتاب الحدود في النحو – أقرب إلى كتب الحدود النحوية منه إلى المعاجم.

ومهما يكن فإن – شرح كتاب الحدود في النحو – للإمام عبد الله بن أحمد بن نور الدين علي الفاكهي جمال الدين (ت972ه) سفر من الأسفار التي حفلت بالمصطلح النحوي وتعريفه والتي يجب الوقوف عندها وذلك " لما يمتاز به من أصالة في البحث وجودة العرض ودقة العبارة وتركيز الأسلوب "[23]، فهذا الكتاب يعالج المصطلح النحوي بحدّه له وتعريفه تعريفا دقيقا آخذا من أمهات كتب النحو قبله.

ومن أجل كل ما سبق جاء منهجه في تناول المصطلح النحوي متميزا بما يلي:

– يعتمد في مادته على مصادر نحوية هي عند النحاة في المحل العالي: كالتسهيل والكافية والشافية وشروحها، والأوضح والمغني والهُمع والتصريح وغيرها "[24]، فقد جمع نفائس ما جاء في هذه الدُرر، ولا تخفى أهمية كل كتاب من هذه في النحو العربي.

- يتّسم بالإيجاز والتركيز، كما أنه يأخذ بالمعالجة المنطقية في كثير من أمره وتجري على لسانه بعض المصطلحات المنطقية كالحد التام والناقص والرسم التام والناقص والجنس والفصل.."[25] فأسلوب الفاكهي في تعريف المصطلح النحوي يوسم بسمة الإيجاز والتركيز، وكثيرا ما يجنح فيه للمصطلحات المنطقية، وتلك عادة جرت عند الفاكهي وعند غيره، فاستعمال مصطلحات المنطق في النحو مألوف عند النحاة، لأن النحو به مسّ من المنطق خاصة في أصوله.

- يقدم الفاكهي أحيانا التعريف اللغوي ثم يردفه بالتعريف الاصطلاحي ففي تعريفة لمصطلح (الفعل المضارع) تراه يقول: << حد المضارع من المضارعة وهي المشابهة: كلمة دلت وضعا على حدث وزمان >>[26]، فقد ذكر مرادف المصطلح في اللغة، ثم همَّ بالتعريف الإصطلاحي.

- بدأ الكتاب بمقدمة ذكر فيها صاحبها الدواعي التي دعته لتأليف الكتاب المذكور والمنهج الذي سلكه في أنه جمع الحدود الواردة في الكتاب من ثنايا الكتب وقام بشرحها"[27]، فيوضّح أسباب تأليف الكتاب، والمنهج المتبع في حد المصطلح النحوي فيه المتمثل أساسا في الاعتماد على كتب النحو.

وبهذا فإن كتاب – شرح الحدود في النحو – للفاكهي، وإن كان يميل لكتب الحدود النحوية أكثر منه للمعاجم، يعتبر حلقة مهمة في تاريخ المعاجم التي تناولت المصطلح النحوي، حاول من خلاله صاحبه ضبط حدود المصطلحات النحوية مرجعا إياها إلى تعريفات النحاة التي وردت في أهم كتبهم، مع ضبطها ببعض مصطلحات أهل المنطق، وهو في كل ذلك يرتب المصطلحات النحوية وفق أهم العلاقات الجامعة بينها كالأصل والفرع أو الضد وغيرها.

3- معجم الكليات للكفوي (ت1094ه): الكليات لصاحبه أبي البقاء " أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي "[28] ،يُعرّف بأنه: <<معجم المصطلحات والفروق اللغوية>>[29]، فقد " غني الكليات بجمع ما اصطلح عليه السابقون والمعاصرون له وحفظه وإيراده "[30]، فصار جامعا لمصطلحات علوم متعددة ومختلفة، منها علوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة والعروض وعلوم الفلك والفيزياء والفلسفة والفقه وبالأخص الحنفي منه، فبلغت مصطلحات هذه العلوم فيه زهاء 3300 مادة"[31] والأكيد أن للمصطلح النحوي حظه الوافر في هذا الزخم من المصطلحات وذلك لأن المصطلح النحوي ما هو إلا جزء من مصطلحات علوم اللغة التي تناولها الكفوي، بل إن المصطلح النحوي طاغي الوجود في – الكليات – فهو منثور عبر كامل فصول الكتاب أضف إلى ذلك أن أبا البقاء خصّص له فصلا كاملا وهو أخر فصل، والذي سمّاه؛ فصل المتفرقات، والحقيقة أن كلمة – المتفرقات – ماهي إلا اسم لهذا الفصل لأن كل ما جاء فيه اجتمع في باب النحو.

وما من شك أن تناول المصطلح النحوي في كليات الكفوي له من الخصوصية مالا يخفى، فقد حاول فيه أبو البقاء جمع المصطلحات النحوية وترتيبها، ومن ثمة تعريفها وحدها مرجعا ذلك إلى من سبقه من النحاة والمدارس.

وقد يكون في تأخر زمن الكفوي (القرن الحادي عشر الهجري) ميزة إذ أتاح له الوقوف على نمو وتطور المصطلحات في القرون الغابرة قبله، وبالتالي استيفاء أكبر قدر من هذه المصطلحات، وأطول مدة في حياتها على أن كليات الكفوي بقدر ما حمل من الميزات والفضائل، حمل أيضا بعض المآخذ والنقائص، وقد يبدو الأمران (المزايا والمأخذ) في منهج الكفوي الذي اتبعه في معالجة المصطلح

اللغوي عموما والنحوي منه على وجه الخصوص، والدارس لمعجم – الكليات – يتراءى له من منهجه ما يلي:

– حفل معجم – الكليات – بمصطلحات علوم متنوعة (فقه، فلسفة، بلاغة نحو عروض، فلك...) بل قد تبدو هذه العلوم أحيانا متباعدة، فأين النحو من الفلك؟! وأين العروض من الفلسفة؟! وهذا التباعد في العلوم ينعكس سلبا على دراسة مصطلحاتها في الكتاب ذاته، ويشتت تركيز الكفوي عبر حقول هذه العلوم، فتنفلت منه جزئياتها وعليه قد توسم بعض المصطلحات عنده بسمة الضعف والوهن.

– تَبَحّر الكفوي في علوم مختلفة بما فيها النحو، لا يجعله نحويا خالصا، فلا يُرى متمكنا في النحو تمكن النحاة الخُلّص فيه.

– أوغل الكفوي في تفاصيل وخصائص المصطلح النحوي دون اهتمام واضح بالتعريف الدقيق له فتراه مثلا يزهد في تعريف مصطلح (الحرف) ثم يَهمّ بذكر خصائصه وأحكامه ومميزاته.

– أحيانا يجعل الكفوي خصائص المصطلح بديلا عن تعريفه له.

– يستعمل الكفوي عبارة: << في الاصطلاح >> إيذانا منه بولوج المصطلح المتناول عنده ميدان النحو.

– خصّص الكفوي فصلا كاملا للمصطلح النحوي إضافة إلى نثره عبر الفصول الأخرى، وقد سمّى الفصل المخصص للمصطلح النحوي؛ فصل المتفرقات في آخر كلياته.

– قد يُرى بعض الاضطراب عند تناول المصطلح النحوي في - الكليات – فأبو البقاء يتناول مصطلحا ما ثم بعض خصائصه، ثم يُدخل مصطلحا آخر، ويعود في الأخير إلى المصطلح الأول.

– من مظاهر الاضطراب أيضا عنده أنه لم يول ترتيب المصطلحات كبير عناية فيتناول مثلا مصطلح (المجاز) في فصل (الحاء) ثم يتناوله مرة أخرى في فصل (الميم) .

– يتناول الكفوي تعريف المصطلح وتعريف نقيضه في الفصل ذاته غير مهتم بجذر كل منهما ،أي يجعل المصطلحات على اختلاف جذورها تلتقي في فصل واحد، وهذا فيه من الاضطراب مالا يخفى.

ومع كل هذا فإن – الكليات – بحق واحد من الأسفار التي حفلت بالمصطلح عموما والنحوي منه على وجه الخصوص، جمع فيه صاحبه ذكر المصطلحات وتعريفاتها وأراء أرباب العلم فيها واختلافاتهم فكان بذلك هذا المعجم مرجعا زخارا لمن يروم تتبع ورصد المصطلح في حقبة الكفوي وما سبقها.

4- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (كان حيّا عام 1158ه): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لصاحبه العلامة محمد علي التهانوي موسوعة لمصطلحات علوم شتى منها علوم اللغة، يقع هذا المعجم في جزئين رتّب فيه صاحبه المصطلحات وفق الترتيب الألفيائي من ألفه إلى يائه.

وأما عن مؤلف هذا المعجم العظيم فهو " محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي "[32]، من علماء الهند في القرن الثاني عشر الهجري، والهند إذ ذاك من الأمصار الإسلامية، ويقال له الفاروقي نسبة إلى سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب والسني نسبة إلى أهل السنة والجماعة، والحنفي نسبة إلى المذهب الحنفي أحد مذاهب الأربعة.

هذا وقد ضنت علينا المصادر فلم تسعفنا ولو باليسير عن مولد ووفاة هذا الرجل، غير أن الراجح والمتفق عليه عند معظم المؤرخين وأصحاب السير أن التهانوي معدود في زمرة علماء القرن الثاني عشر الهجري.

و الأكيد أن هذا التغييب الذي لفّ تاريخ مولد وتاريخ وفاة صاحب – كشاف إصطلاحات الفنون- مع قرب عصره (القرن الثاني عشر الهجري) لا يقدح فيه بشيء ولا ينتقص من صنيعه " فقد تنوعت ثقافة التهانوي وتعددت مشارب علومه لغة وفقها وحديثا وتاريخا وفلكا وفلسفة وتصوفا وغير ذلك "[33] ولاشك أن هذه العلوم منعكسة بمصطلحاتها في كشافه، فالمُطّلع المنصف على موسوعة – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم- لا يسعه " سوى الإقرار بأعلمية وموسوعية التهانوي التي فاقت كل عمل معجمي وموسوعي في العلوم حتى عصره "[34].

وما من شك أن من بين المصطلحات التي تناولها التهانوي في كشافه مصطلحات علوم اللغة، ومن أهم العلوم التي تقوم عليها اللغة؛ النحو، فلا غرو أن يتناول الرجل المصطلح النحوي.

وتناول التهانوي للمصطلح النحوي في كشافه وُسم كتناول غيره من المصطلحات بمنهج ميّز هذا المعجم عن سابقيه ولاحقيه من المعاجم المعتنية بالمصطلح ،ولعل القارئ لـ – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – يرصد من ذلك ما يأتي:

- حفل كشاف التهانوي بمصطلحات علوم متنوعة، ولعل في عنوانه ما يشي بذلك إذ يكشف فيه صاحبه عن اصطلاحات تلك العلوم، فالتهانوي كان موسوعي الاطلاع وتلك سمة في علماء عصره.
- افتُتح كشاف التهانوي بمقدمة ذكر فيها صاحب المؤلف سبب تأليفه للكتاب وكيفية ذلك، والعلوم المتناولة فيه، وتقسيم هذه العلوم باعتبارات متعددة.
- قُسّمت مواد الكتاب ورتبت وفق ترتيب الأحرف الألفبائي بداية من الألف وانتهاء بالياء.

- يعتبر جهد التهانوي في كشافه أقرب إلى العمل الموسوعي، فقد وقع هذا المعجم في ما يزيد عن الألفي صفحة.
- ومما يدل أيضا على الموسوعية في شخصية التهانوي استعماله لبعض مفردات اللغة الفارسية وعلمه بالتقويم الإيراني، حيث يقول:<< آبان: اسم شهر في التاريخ اليزدكردي، وهو الشهر الثاني من أشهر فصل الخريف في التقويم الإيراني الحالي >>[35].
- يتطرق التهانوي إلى المصطلح بمعانيه المختلفة بحسب العلوم التي ينتمي إليها فالابتداء عند أهل المعاني يختلف عنه عند النحاة، وعند غيرهم فيقول:<< الابتدائي: عند أهل المعاني هو الكلام الملقى مع الخالي عن الحكم والتردد فيه سواء نزل منزلة المُنكر أو المتردد أو لا ....عند النحاة تطلق على جملة من الجمل .....>>[36].
- يعتمد التهانوي على اصطلاحات أهل الطب، فتراه يقول: << قال الشيخ بن سينا ...العلة الأولى...>>[37]، كما يعتمد على اصطلاحات أهل الفلسفة والمنطق، فتراه يقول:<< وجود زماني وجود مادي،...في اصطلاح الحكماء..>>[38].
- يُعرّف التهانوي المصطلح النحوي معتمدا تعريفات النحاة قبله، فيقول: << في اصطلاح النحاة >>[39].
- يُعرّف التهانوي المصطلح النحوي بذكر مرادفات له، وذلك مثل قوله: <<... ويسمى بحرف المعنى والأداة أيضا ...>>[40].

وعلى العموم فإن تعريفات التهانوي للمصطلح النحوي في معجمه كشاف اصطلاحات الفنون، لم تشذ عن تعريفات من عاصره أو من كان قبله من

أصحاب المعاجم، فيمكن أن يقال في منهجه ما قيل في مناهج غيره من المعاجم خاصة القريبة من معجمه زمانا.

الخاتمة: وتعريف المصطلح النحوي وإن كان أكثر نقاء وصفاء غداة نشأة النحو وإلى زمن قريب من ذلك حتى أن التعريف في هذه المراحل المتقدمة وُسم بالبساطة والسطحية، فكتاب سيبويه مثلا وهو غاية ما يُطلب في النحو " يكاد يخلو من التعريف على وجه العموم، فهو مثلا لم يُعرِّف الفاعل ولا الحال ولا البدل ولا غير ذلك من أبواب النحو... "[41]، غير أن سمة البساطة والسطحية هذه لم تبق ملازمة لتعريف المصطلح النحوي فبتطور النحو لاحقا وبكثرة الأسفار التي تناولته متأثرة بعلوم آخرى كالفلسفة والمنطق الأرسطي على سبيل المثال، يُرى – لاشك – تأثير ذلك على تعريف المصطلح النحوي.

والمتحسس للمصطلح النحوي وتطوره وخاصة في المعاجم المتخصصة، يرى ما لا تخطئه العين من خصائص جديدة اكتسبها هذا التعريف إضافة إلى بساطته المعهودة والمألوفة.

ولعل من هذه الخصائص الجديدة في التعريف:

- تأثر تعريف المصطلح النحوي بعلوم دخيلة على النحو ألقت بظلالها على حدّ المصطلح، ومن هذه العلوم: الفلسفة والمنطق وغيرها.
- اختلاف تعريفات المصطلح الواحد عند أصحاب المعاجم، ولهذا الاختلاف ما يُبرّره، وقد يكون من أكثر مبرراته التباعد الزمني بين أصحاب المعاجم المتخصصة ولا يخفى أن للزمن سلطانه المؤثر في الذهنيات والعلوم، فالخوارزمي مثلا من أصحاب القرن الرابع الهجري، والجرجاني في القرن التاسع الهجري والفاكهي في القرن العاشر الهجري، والكفوي في القرن الحادي عشر الهجري والتهانوي في القرن الثاني عشر الهجري، فبين هؤلاء الرجال بعد زماني لا يستهان بتأثيره في تطور العلوم ومصطلحاتها، إذ يمتد هذا البعد من القرن

الرابع الهجري إلى الثاني عشر الهجري أي يحصر حوالي ثمانية قرون، والأكيد أن هذه القرون وقع فيها تطور كبير انعكس على تطور تعريف المصطلح النحوي.

- اختلاف أصحاب المعاجم في الذهنيات والخلفيات ينسحب –لاشك- على طريقة تعريفهم للمصطلح عموما، والنحوي خصوصا، فنجد مثلا عند الجرجاني والكفوي حضورا للعقل والرأي في تعريف المصطلح، وهما من أتباع مذهب أبي حنيفة النعمان الذي يُعمِل العقل والرأي.

- تشابه التعريفات بين أصحاب المعاجم، وهذا راجع إلى أن اللاحق من أصحاب المعاجم قد يكون أخذ عن السابق، وعليه قد نجد بعض التعريفات يتردد صداها في أكثر من معجم.

- النواة الأساسية في تعريف المصطلح النحوي مأخوذة أصلا عن النحاة الأُول ثم أضاف لها أصحاب المعاجم ما أضافوا بحسب ما أملاه تطور علم النحو، فمثلا مصطلح الاسم عند معظم النحاة يعرف بأنه:(الاسم اللفظ المفرد المتجرد من الزمن) وهذا هو المتداول عندهم، ومن أصحاب المعاجم من أضاف إلى ذلك فالتهانوي يُعرّف مصطلح الاسم بقوله:<< في اصطلاحات النحاة يطلق الاسم على خمسة أشياء...>>[42]، ويُعدّد من هذه الخمسة: اسم العلم، الصفة، الظرف المصدر، ما يقابل الفعل والحرف.

- في أغلب الأحيان يكون صاحب المعجم في حِلّ من الانتماء إلى أي مدرسة نحوية، فهو غير معني بالتمذهب والخلاف النحوي، وإذا أورد تعريفا لمصطلح نحوي ما، يورده عند أشهر النحاة فلا يظفر القارئ بانتمائه النحوي، فالملاحظ أن المعجمي يقف على المسافة ذاتها من جميع النحاة والمدارس، ولا يبدو أن من صلاحياته الترجيح وتغليب الرأي في المسائل النحوية، وقد يكون ذلك بسبب أن

دوره حفظ المصطلح بحدّه وتعريفه، وهذا – فيما يبدو – بعيد عن الحرب التي دارت رحاها في أصول النحو وفروعه.

ومهما يكن فإن المعاجم المتخصصة ومنذ نشأتها كان هدفها حفظ المصطلحات المنتمية إلى علوم مختلفة، تتمايز هذه العلوم بتمايز مصطلحاتها في الحد والتعريف، وقد قام أصحاب المعاجم المتخصصة بالمهام الموكلة إليهم في حفظ المصطلح، غير أن هذه المعاجم تفاوتت في ذلك، وهذا التفاوت طبيعي إذ ما أخذنا في الاعتبار تفاوت الزمن والظروف والأعصار والأمصار، وليس صعبا أن نلتمس هذا التفاوت والاختلاف في تعريف المصطلح النحوي، فلم تعالجه المعاجم المتخصصة بالطريقة نفسها خاصة في تعريفه وحدِّه، لكن ذلك لا يفسد لمجهودها المعتبر قضية في وضع مفهوم مُوّحد للمصطلح النحوي.

المصـــادر:

1- الأفغاني سعيد: من تاريخ النحو، دار الفكر، دمشق – سوريا – (د،ت)،(د،ط).

2- بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة – مصر – 1968، (د،ط).

3- التهانوي علي محمد: كشاف، إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: على دحروج، تر: عبد الله الخالدي مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان – 1996.

4- الجرجاني الشريف: التعريفات، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس بيروت – لبنان – 2012، ط3.

5- جفال محمود عبد الله: المصطلح اللغوي عند ابن جني في كتاب الخصائص مصدره ودلالته، مجلة مجمع اللغة العربية، عمان – الأردن- (د،ت)،ع71.

6- الجمحي محمد بن سلام: طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – 1988 ،ط2.

7- الراجحي عبده: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت – لبنان – 1986، (د،ط).

8- السّواد رياض: الحد النحوي وتطبيقاته حتى نهاية القرن العاشر الهجري، دار الراية للنشر والتوزيع - - - الأردن- 2009، ط1.

9- السيرافي أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد خفاجي، مكتبة مصطفى البابي – مصر – 1955، ط1.

10- الطنطاوي محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة – مصر – (د،ت)،(د،ط).

11- عبادة إبراهيم محمد: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، دار المعارف، القاهرة – مصر – (د،ت)، (د،ط).

12- علامة طلال: تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني بيروت – لبنان - (د،ت)،(د،ط).

13- الفاكهي عبد الله بن أحمد: شرح كتاب الحدود في النحو، تح: رمضان أحمد الدميري، مكتبة القاهرة – مصر – 1993، ط2.

14- القوزي عوض حمد: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، الرياض – المملكة العربية السعودية – 1981، (د،ط).

15- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة دمشق – سوريا – (د،ت)،(د،ط).

16- الكفوي أبو البقاء أيوب: الكليات، تح : عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا – 2011، ط2.

الهوامـش :

(1) سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، دمشق – سوريا – (د،ت)،(د،ط)، ص 27.

(2) عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات، الرياض – المملكة العربية السعودية – 1981، (د،ط)،ص 22.

(3) أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد خفاجي، مكتبة مصطفى البابي – مصر – 1955، ط1، ص12.

(4) محمد بن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – 1988، ط2 ص 29.

(5) القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص 36.

(6) محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة – مصر – (د،ت)،(د،ط) ص 35.

(7) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة – مصر – 1968 (د،ط)، ج2، ص 196.

(8) طلال علامة: تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان – (د،ت)،(د،ط)، ص 197.

(9) القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص 172.

(10) المرجع السابق، ص201.

(11) محمود عبد الله جفال: المصطلح اللغوي عند ابن جني في كتاب الخصائص مصدره ودلالته مجلة مجمع اللغة العربية، عمان – الأردن- (د،ت)،ع71 ، ص62.

(12) محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، دار المعارف القاهرة – مصر – (د،ت)، (د،ط)، ص 28.

(13) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(14) المرجع نفسه، ص28- 29.

(15) المرجع نفسه، ص 30.

(16) الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت – لبنان – 2012،ط3 ، ص 09.

(17) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(18) محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية،ص31.

(19) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(20) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(21) الجرجاني: التعريفات، ص 208.

(22) ينظر: المصدر نفسه، ص 30- 31.

(23) عبد الله بن أحمد الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو، تح: رمضان أحمد الدميري، مكتبة القاهرة – مصر – 1993، ط2، ص 20.

(24) المصدر نفسه، ص 26.

(25) المصدر نفسه، ص 23.

(26) المصدر نفسه، ص 99.

(27) رياض السواد: الحد النحوي وتطبيقاته حتى نهاية القرن العاشر الهجري، دار الراية للنشر والتوزيع- الأردن- 2009، ط1، ص 26.

(28) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا – (د.ت)،(د.ط)،ج1، ص 418.

(29) الجرجاني: التعريفات، ص 35.

(30) أبو البقاء الكفوي: الكليات، تح : عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا – 2011، ط2، ص 05.

(31) المصدر نفسه، ص 35.

(32) محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: على دحروج، تر: عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان – 1996، ط1، ج1، ص 38.

(33) المصدر نفسه، ص 41.

(34) المصدر نفسه، ص 42.

(35) المصدر نفسه، ص 81.

(36) المصدر نفسه، ص 83.

(37) المصدر نفسه، ص 85.

(38) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(39) المصدر نفسه، ص 643.

(40) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(41) عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – 1986، (د،ط)، ص72.

(42) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص184- 185.